



الأحداث اللي احنا فيها... اللي شبه الكابوس... حاسس إن هو اللي محرك الأحداث هي حاجة اسمها الدولة العميقة. بتفكرني بفيلم «ماتريكس» مثلا بمجموعة من الناس، هما قاعدين بيخططوا، عايشين في عالم ضلمة. وهما اللي بيحركوا ناس تانية عاملين زي الأراجوزات، الأراجوزات دي بتأخذ فلوس أو بتأخذ مناصب أو بتأخذ أراضي أو بتأخذ أيا كان، لكن هما منفذين للدولة العميقة.

الدولة العميقة في مصر أقوى من رئاسة الجمهورية، أقوى من أي استفتاء بيحصل، أقوى من أي دستور أقوى من أي حاجة.

الدولة العميقة لما يبقى منشأة أو منظومة، هي اللي متحكمه في الدولة، متغلغلة فيها من أقل درجة لأقصى درجة.

طول ما في دولة عميقة وطول ما في مؤسسات مبنية من زمان وفي مؤسسات معموله وماشية بنظام، إنت عمرك ما هتعمل ثورة، عمرك ما هتعمل حاجة تغيّرها.

لما قولنا: «الشعب يريد إسقاط النظام»، دي كانت مستحيلة، لأن الدولة العميقة أقوى مما نتصور يعني.

الفكرة إنت لما تبص لرأس النظام، زي حسني مبارك مثلا، وتوقعه، فتفتكر أن إنت... وأنا واحد من الناس... أن إنت عملت المستحيل وإن إنت خلاص! تيجي تكتشف أن إنت معملتش حاجة، وإن في ناس لسه، وفي مؤسسات، والمؤسسات دي فيها ناس. الحاجات دي كلها... وإنت بقيت تحاول، بقيت عاوز تغيير والشغل ده... أهى دي الدولة العميقة بالنسبالي.

احنا مش فاهمين أولها من آخرها ولا هما مين الناس ديت. مين الناس المتحكمه في البلد؟

احنا عندنا رئيس ورئيس وزراء وبرلمان... فدولت اللي هما المفروض بالنسبالي واجهة الحكم. لكن الناس أكتشفت إنه لأ... في تحت السطح قوى، غير منظورة، بتتمثل في عناصر مختلفة: مخابرات، رأس المال،

يعني تقدر تقول مؤسسة جوه مؤسسة. محدش عارف مين هما اللي بيدبروا الدولة، إن هي فين الأيدي الخفية اللي بتعطل الثورة... بتعطل أهداف الثورة.

كان في الأول بيستعملوا المصطلح مثقفي الثوار لوصف الصراع مع المجلس العسكري بعد تنحي مبارك علطول، وإنه إزاي هما دول اللي بيدبروا الدولة العميقة، وهما دول أحد أهم ركائز الدولة العميقة في مصر.

واستعملوا المصطلح الإخوان لوصف شيء ملوش ملامح: هو اللي منعهم من إن هما يعملوا تغيير وفي واقع الأمر، هما الإخوان جزء من الدولة العميقة في مصر، لأن الإخوان جماعة إصلاحية مش جماعة ثورية. هما كان عندهم حد وصل لأعلى منصب في البلد، اللي هو رأس الدولة يعني. كان يقدر يقول مين هو الدولة العميقة، كان يقدر يعرف، كان يقدر يحاسب الناس اللي هما بيمثلوا الدولة العميقة في أشخاصهم، بس هو كرمهم في الحقيقة، كرم كل النماذج الظاهرة والواضحة للدولة العميقة.

بيحاولوا يقنعونا أن الدولة العميقة في الإخوان بس: هي الدولة العميقة برضه موجودة في العسكر. إنت عندك دلوقتي، كل ما يطلع عقيد في الجيش ولا عميد في الجيش، يا يمسكوه مستشار، يا يمسكوه وزير، يا يمسكوه محافظ، وهو لا يفقه في أي شيء، بالنسبة على الأقل في الحاجات السياسية.

من وجهة نظري إنه اللي بيمد جماعة الإخوان شريان الدم بتاعها الرئيسي جي من الفقر والبطالة... جي من كل مسائى الدولة، ومن كل الفراغات اللي الدولة مش قادرة تملأها. الإخوان مستفيدين، فهما جزء من الدولة العميقة ومش من مصالحهم إن أحوال الناس تتغير للأفضل، لأن لو أحوال الناس اتغيرت للأفضل محدش هينضم للتنظيم بتاعهم بأي شكل من الأشكال، أو هيستفيد من الخدمات اللي هما بيعملوها بأي شكل من الأشكال.

مصطلح الدولة العميقة إنطلق على كده: اللي هو النظام القديم اللي عايز يرجع بكل كياناته. هي الدولة اللي لسه بتفكر ترجع الأمن الوطني، وترجع الداخلية زي ما كانت، وترجع الضرب وترجع التعذيب، وترجع كل حاجة.

أنا حاسس أن الدولة العميقة هي طرف من الأطراف اللي هي خسرت في التلت سنين اللي فاتوا، فبيحاولوا يعوضوا خسارتهم، وبيحاولوا يظهرها تاني.

لما شلنا حسني مبارك، شلنا الراس، بس مازالت الشجرة موجودة. الدولة العميقة مازالت موجودة.

في ناس بقى بتشوف الدولة العميقة هي اللي بتدير كل حاجة من أول لحظة في مصر. الناس اللي كانت في الشارع من أول يوم ٢٥ يناير، تقدر تبقى شايفة بعنيها إنه مكانش في حد متحكم في اللي حصل. كون تبقى في إرادات بقى داخلية وخارجية تيجي بعد كده، تستغل إنه بقى في حدث على أرض الواقع وتحاول تمشييه في مسار مصالحها، فده شيء تاني.

ممکن تكون الدولة العميقة عبارة عن فكرة... فكرة السيطرة وفكرة النفوذ وفكرة تحقيق الأموال أو الفلوس بأرقام مهولة وثروات يعني مش من حقل.

البداية في القصة كلها هي دي: الدولة العميقة. هي من ساعة ما تولدنا، فكرة إن يعملوا عمق للديكتاتورية، إن هما يكونوا جذور للديكتاتورية في كل أركان الدولة، من خلال بقى عناصر كثير يعني العنصر الأولاني، العنصرية أو الطائفية. كمان، الحاجة الثانية في النقطة دي، بُعد الأطراف عن بعضها يعني. نفس الكلام برضه بالنسبة للدين. كمان في حاجة ثانية مهمة جدا، هي فكرة اللهجات. احنا

مستفدناش من فكرة إن احنا عندنا ثلاثين مدينة بتلاتين لهجة مختلفة. زائد بقى ترسيخ القواعد، فكرة الثقافة المتخلفة، اللي هي فعلا بيتفه الشعب بشكل كبير.

الدولة العميقة هي داخل المواطن المصري، حتى وهو يثور عليها. فلم يتجرأ الشعب المصري على السلطة، حد يقول للتاني: «كلم الضابط كويس». فلما يقوله، المصريين يقولوه: «إنت عارف أنا ابن مين؟» لما يجي يكسر القانون ويكسر النظام ويكسر الدولة، يقولوه: «إنت عارف أنا ابن مين؟» كأن «ابن مين» دي المعادل الموضوعي اللي يسمح له بكسر مفهوم الدولة. الدولة العميقة، هي دولة الكامنة داخل الإنسان المصري، وهو لا يعرف غيرها لأن هو أول من صنعها. الشعب المصري حوالين الوادي وفي الوادي بقاله آلاف السنين يصنع الدولة المركزية السلطوية الهيراقية التراتبية اللي فيها الرئيس وفيها القائد وفيها الملك وفيها السلطان وفيها الفرعون... اللي هو طوال الوقت يعرف بوجودها، ويعرف أيضا إنها منظمة لحياته.

هو موجود يعني في وشك علطول، طول الوقت يعني... هو مش عميق خالص، هو في كل تفصيلة يعني. كان لازم يسموها الدولة اللي بتعمل نفسها خفية.